٢١
صـرارةً للعودةِ إلى البيتِ

بلدٌ وحدُّهُ البحرُ:
محطّات من تاريخ السَّاحل الفلسطينيِّ
(١٧٤٨ – ١٩٤٨)

أهلاً وسهلاً بكم في المتحف الفلسطيني

نتمنّى لكم رحلةً مُمتعةً في معرضِنا «**بلدٌ وحدُّهُ البحرُ**»

ولكن لا تنسَوا أن

- تسيروا بهدوءٍ
- تعقّموا أيديكم
- ترتدوا كمّاماتِكم
- تستمتعوا بوقتِكم
- وإذا كنتم تشعرونَ بالجوع أو العطشِ، انتظروا حتّى نُنهي الجولةَ، وبعدها سنذهبُ إلى مقهى المتحفِ لنتناولَ معًا وجبةً شهيّةً.

هل سبقَ وأن زُرتُم المتحفَ الفلسطينيَّ؟
أخبرونا عن التجربةِ.

يمكنُكُم أن تستخدموا هذا الكتيِّبَ مع أصدقائِكُم ومُعلِّميكُم وعائلتِكُم، وفي المكتبةِ، وعند العودةِ من جولتِكم في المتحفِ الفلسطينيِّ.

أيُّها الأصدقاءُ، لقد مرَّ وقتٌ طويلٌ على حدوثِ القصصِ التي يرويها المعرضُ، بعضُها حدثَ، ربَّما، قبلَ أكثر من مئةِ عامٍ، وبعضُها الآخرُ يعودُ إلى ما هو أبعدُ من ذلكَ بكثير.

خان العمدان في عكّا، بناهُ أحمد باشا الجزّار في نهاية القرن الثامن عشر.

هل تتذكَّرونَ قصّةً حصلتْ معكم منذُ مدَّةٍ طويلةٍ؟
هل تستطيعونَ أن تشاركونا إيَّاها؟ اكتبوها أو ارسموها إذا أحببتُم.

أثناءَ تحضيرِنا للمعرضِ، وعندما كنَّا نبحثُ في حياةِ الفلسطينيينَ في القرنِ الثامنِ عشر، وجدنا قصَّةً مُثيرةً للدهشةِ، عن بنتٍ صغيرةٍ اسمُها نجمةُ، هل تحبُّونَ أن نرويَها لكم؟

في وثيقةٍ قديمةٍ، كتبتْ نجمةُ قصَّةً عن مدينةٍ كبيرةٍ، كانتْ مُفعمةً بالحياةِ، مليئةً بالناسِ والحكاياتِ، وفي كلِّ زاويةٍ منها ذكرياتٌ وتفاصيلُ لا تُنسى. ساعدتْنا هذهِ الوثيقةُ في التعرُّفِ على المدينةِ.

هل لديكم وثائقُ قديمةٌ؟
هل تستطيعون أن تصفوها لنا؟

غلاف العدد الرابع من السنة الأولى لمجلّة باكورة الأدب، يعود إلى العام ١٩٠٥، من الأرشيف العثماني. © مديريّة أرشيفات الدولة – الجمهوريّة التركيّة.

كانتْ بيوتُ الناسِ في هذهِ المدينةِ تطلُّ على البحرِ، وكانوا يذهبونَ إليهِ كلَّ يومٍ ويزورونَه كأنَّهُ صديقٌ أو حبيبٌ، وكانتْ لهذا البحرِ زُرقةٌ خاصَّةٌ، وكانَ يُضيءُ المدينةَ كشمسِ الضُّحى، وتتعرَّجُ ألوانُهُ بينَ بيَّاراتِ البرتقالِ المُمتدَّةِ في الأفقِ، والناسُ يذهبونَ ويجيئونَ لتبدوَ المدينةُ ساعةً كبيرةً لا تتوقَّفُ عن الدورانِ.

هل زُرتُم البحرَ يومًا؟

هل تحبُّونَ صوتَهُ؟

هل تسمعونَهُ داخلَ المعرضِ؟

هيَّا نظلِّلُ بالأزرقِ مقدارَ شوقِنا للَّعبِ على شاطئِ البحرِ.

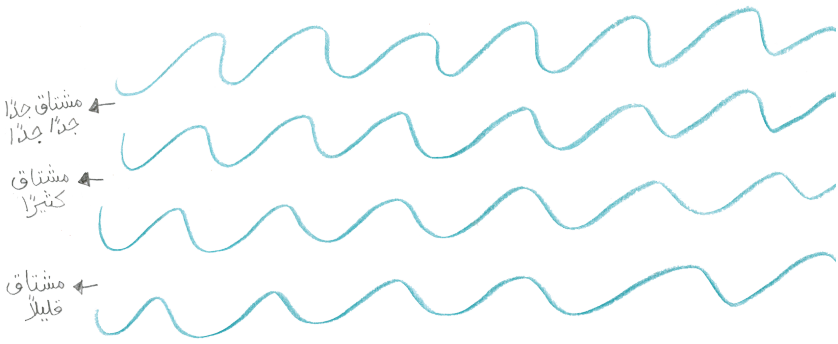

خريطة ليافا تعود إلى العام ١٩١٢، تحدّد موقع بيّارات البرتقال المحيطة بالمدينة، من كتاب:
Travellers for handbook: Cyprus of Island the and Babylonia and Mesopotamia through routes with: Syria and Palestine
بإذن من مجموعة جامعة بيرزيت للكتب النّادرة.

لاذقیه
جبله
بانیاس
قدموس
صافیتا
صهیون
کوزکب
حلب ولایتی
حلما
سوریه
بیروت
طرابلس
عکا
حیفا
طنطورا
قیصریه
نابلس
یافه
قدس
اریحا
الخلیل
بئرالسبع
العریش
کرک
نطرانه
بقاعشیف
نفود صحرای
عنزه شمالی
عنزه
معان
بئرحرابه
عقبه
سوریه وبیروت ولایتی
ایشلیان شمندوفر
دردستانشا
کیلومتره

ونجمةُ، مثل باقي أهلِ المدينةِ، كانتْ تزورُ البحرَ كلَّ يومٍ. وفي مساءٍ خريفيٍّ تفوحُ منهُ رائحةُ البرتقالِ، وبينما كانتْ تجلسُ على رملِ الشّاطئِ، شعرتْ بهزَّةٍ قويَّةٍ أسفلَ قدَمَيها، وخرجتْ من بينِ الرمالِ صخرةٌ كبيرةٌ ملساءُ، ذاتُ لونٍ مُشمُشيٍّ، ولمعةٍ لم يُرَ لها مثيلٌ. فتحتِ الصخرةُ فَمَها وأخبرتْ نجمةَ أنَّها ستتفتَّتُ بعدَ دقائقَ إلى صَراراتٍ صغيرةٍ، وأنَّ عليها أن تحملَ أكبرَ قدرٍ منها، لأنَّ فيها ذكرياتِ وتاريخَ البلادِ، وكلُّ صرارةٍ صغيرةٍ ستدلُّها إلى طريقِ العودةِ، وتساعدُها لتنقذَ مُدُنًا وذكرياتٍ من النسيانِ.

هل تتذكَّرونَ بعضَ الأغراضِ التي احتفظَ بها أجدادُكُم وجدَّاتُكم كذكرياتٍ؟

يمكنُكُم رسمُ هذهِ الأغراضِ أيضًا.

لم تفهمْ نجمةُ، ولكنَّها انكبَّتْ، خلالَ لحظاتٍ، على الأرضِ تُلملِمُ ما استطاعتْ من صراراتٍ، تُحاولُ أن تنقذَها من الذَّوبانِ. وضعتْ خمسًا في جيبِها، وخمسًا بينَ أصابعِ قَدمَيها، واثنتَين في فمِها، وحفنةً بين أضلُعِها.

وفي لحظةٍ تغيَّرَ المشهدُ: اختفتِ الصخرةُ، ولم تبقَ سوى حبَّاتِ الحصى العالقةِ في جسدِ نجمة، تشدُّ عليها بكلِّ قوَّتِها وتحملُها بينَ أضلُعها ككنزٍ ثمينٍ، والبحرُ من أمامِها أزرقُ، واسعٌ، لا نهائيٌّ.

وهي تعودُ من ذهولِها، حاولتْ أن تتذكَّرَ قصصًا مُشابهةً سمعتْها من جدَّتِها أو من أحدِ الأصدقاءِ عن أشياءَ غريبةٍ تظهرُ فجأةً وتختفي فجأةً، وفوقَ ذلكَ كلِّهِ تتحدَّثُ، ولكنَّ جسدَها المرهقَ غطَّ في نومٍ عميقٍ.

هل تستطيعونَ مُساعدةَ نجمةَ لتتذكَّرَ قصصًا مُشابهةً؟

مرَّتْ سنواتٌ طويلةٌ على هذهِ الحادثةِ، وأصبحتْ نجمةُ شابَّةً، تحملُ سرًّا كبيرًا، لم تخبرْ بهِ أحدًا. ولكنَّها كانتْ، كلَّما سنحتْ لها الفرصةُ، تفتحُ «صُرَّةَ القماشِ» وتُحدِّقُ في الصَّراراتِ التي ترقدُ داخلَها، إنَّها لامعةٌ، تمامًا كما كانتِ الصخرةُ الأمُّ!

في أحدِ الصباحاتِ، وبينما كانتْ نجمةُ تقطعُ الطريقَ إلى المدرسةِ التي تعملُ فيها معلِّمةً للتاريخِ، سمعتْ صوتًا عاليًا يُعلنُ عن افتتاحِ سكَّةِ حديدٍ جديدةٍ تربطُ بين يافا والقدس. لقد كبُرتْ يافا، وأصبحتْ من أهمِّ المدنِ على ساحلِ البحرِ المتوسِّطِ، وازدهرتْ فيها الزراعةُ والصناعةُ، وانتعشتْ حركةُ التجارةِ لتصلَ إلى أوروبَّا، وصارتِ السفنُ تذهبُ وتجيءُ يوميًّا من وإلى ميناءِ المدينةِ، تحملُ القطنَ والبرتقالَ الشمُّوطيَّ، ومنتوجاتٍ لا يُمكنُ حصرُها. تذهبُ السفنُ مُحمَّلةً، وتعودُ كذلكَ!

صورة تعرض خطّ سكّة حديد الحجاز في ولايتَيْ الشّام وبيروت، من مجموعة نينو لصور المصوّر الهولندي فرانك شولتن، التي التقطها خلال ترحاله في الشّرق الأوسط بين عامَيْ ١٩٢٠-١٩٢٣. © مجموعة فرانك شولتن، المعهد الهولندي للشرق الأدنى NINO - لايدن.

هل يمكنُكُم رسمُ خارطةٍ مُتخيَّلةٍ لخطِّ سيرِ سكَّةِ الحديدِ؟

لو كانَ بإمكانِ فلسطينَ أن تُصدِّرَ مُنتجاتِها إلى أنحاءِ العالمِ اليومَ، فما هي المنتوجاتُ التي تختارونَها للتصديرِ؟

تمرُّ الأيَّامُ، وتكبُرُ يافا، تتنوَّعُ المِهنُ، ويتحسَّنُ الوضعُ الاقتصاديُّ للناسِ، وتزدادُ الأنشطةُ الثقافيَّةُ والرياضيَّةُ، وتكثُرُ المباني الجميلةُ، وتخترعُ المصانعُ أشكالاً لبلاطٍ بألوانٍ مدهشةٍ.

هل تستطيعونَ أن تتخيَّلوا أشكالاً وألوانًا لبلاطٍ في بيوتِ يافا؟

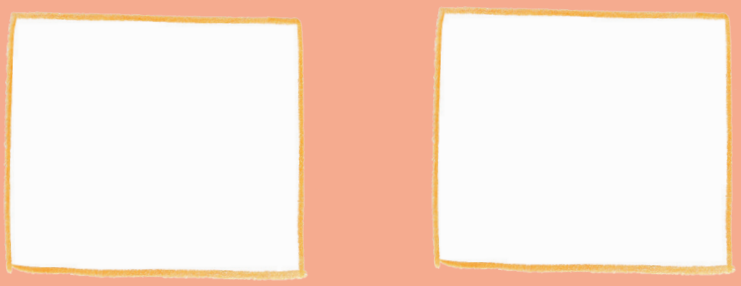

يقولُ العمُّ جلال إنَّهُ كانَ لاعبًا أساسيًّا في النادي الرياضيِّ القوميِّ في عكّا، والذي كانَ تابعًا للاتِّحادِ الرياضيِّ العربيِّ الفلسطينيِّ الذي أُسِّسَ في العامِ 1931، وفي مشاركاتِهِ المختلفةِ حصلَ الاتِّحادُ على مجموعةٍ من الجوائزِ والكؤوسِ التكريميَّةِ.

ما رأيُكُم أن نختارَ اسمًا جديدًا لمنتخبِ فلسطينَ، وأن نُصمِّمَ شعارًا لهذا المنتخبِ؟

كأس رياضي حصل عليه نادي الشباب العرب في حيفا في بطولة حيفا لكرة القدم في العام ١٩٤٥. بإذن من مجموعة أمجد غنّام.

يصبحُ ظاهرُ العمرِ وأحمد باشا الجزَّار ومحمَّد آغا أبو نبُّوت شخصيَّاتٍ تاريخيَّةً يقرأُ الناسُ عنها في الكتبِ، ويرَونَ أثرَها من خلالِ المباني المعماريَّةِ الجميلةِ التي شيَّدوها أثناءَ فتراتِ حكمِهم.

هل تتذكَّرونَ أسماءَ شخصيَّاتٍ تاريخيَّةٍ من كُتُبِكم المدرسيَّةِ؟

أخبرونا عنها وعن إنجازاتِها التي جعلتْ منها شخصيَّاتٍ خالدةً في التاريخِ.

هل شاهدتُم النُّقوشَ في المعرضِ؟
يا تُرى، هل لديكم نقوشٌ سريَّةٌ على جدرانِ بيوتِكم أو مدرستِكم، أو على شجرةٍ قريبةٍ من بيتِكم؟ شاركونا هذه النُّقوشَ.

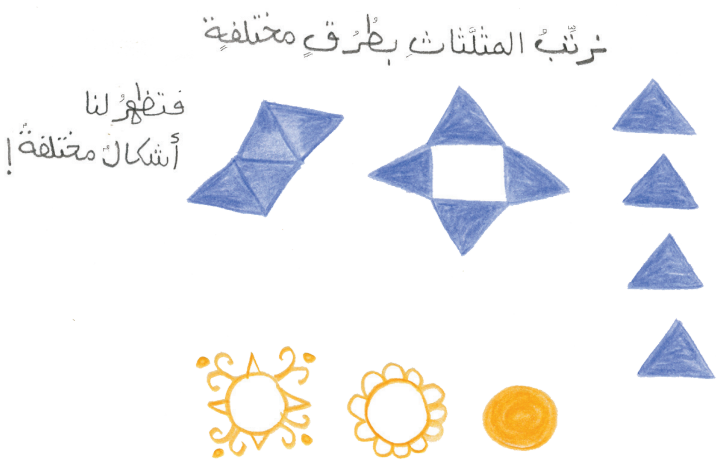

المعلّمةُ نجمةُ تحبُّ التاريخَ، وتدرّسُهُ للأطفالِ بطريقةٍ مبدعةٍ. تأخذُ طلابَها في جولاتٍ إلى بيّاراتِ البرتقالِ، ليراقبوا عن قُربٍ عمليَّاتِ إنتاجِهِ وتغليفِهِ وتحضيرِهِ للتصديرِ، وعندما يكونُ الجوُّ ربيعيًّا يذهبونَ إلى المسرحِ أو السينما، حسبَ جداولِ العرضِ وملاءمتِها لدروسِهم.

تقولُ المعلّمةُ نجمةُ: إنَّها يافا، مدينةُ البرتقالِ والبحرِ والغناءِ، إنَّها يافا، قِبلةُ الحياةِ.

هل رأيتُم أغلفةَ البرتقالِ على حائطِ المعرضِ؟

هل يمكنُكُم التفكيرُ في تصاميمَ مُبتكرةٍ لأغلفةٍ مُعاصرةٍ يمكنُ أن نستخدمَها في تغليفِ منتوجاتِنا الفلسطينيَّةِ؟ دعونا نجرِّب!

كانتْ نجمةُ مولعةً بالقراءةِ، وتُشاركُ في ندواتٍ ثقافيَّةٍ متنوِّعةٍ.
وفي أحدِ الصباحاتِ، وبينما كانتْ تقرأُ الجريدةَ، تغيَّرَ لونُها وبدأتْ بالصراخِ:
كيفَ يمكنُ أن يحدثَ هذا؟
هل حدثَ خللٌ في هذا العالمِ؟
لم تعُدْ نجمةُ تعرفُ ماذا تفعلُ، ولكنَّها، فجأةً، تتذكَّرُ الصَّراراتِ التي خبَّأتْها قبلَ زمنٍ طويلٍ، وكانتْ تعرفُ أنَّها ستحتاجُها يومًا ما. «لا بدَّ أنَّ وراءَ هذهِ الصَّراراتِ قصّةً كبيرةً»، تقولُ في سرِّها.

هل تستطيعونَ أن تُخمِّنوا لماذا صرختْ نجمةُ عندما قرأتِ الجريدةَ؟

هل يمكنُكُم أن تتخيَّلوا الخبرَ الذي قرأتْهُ؟

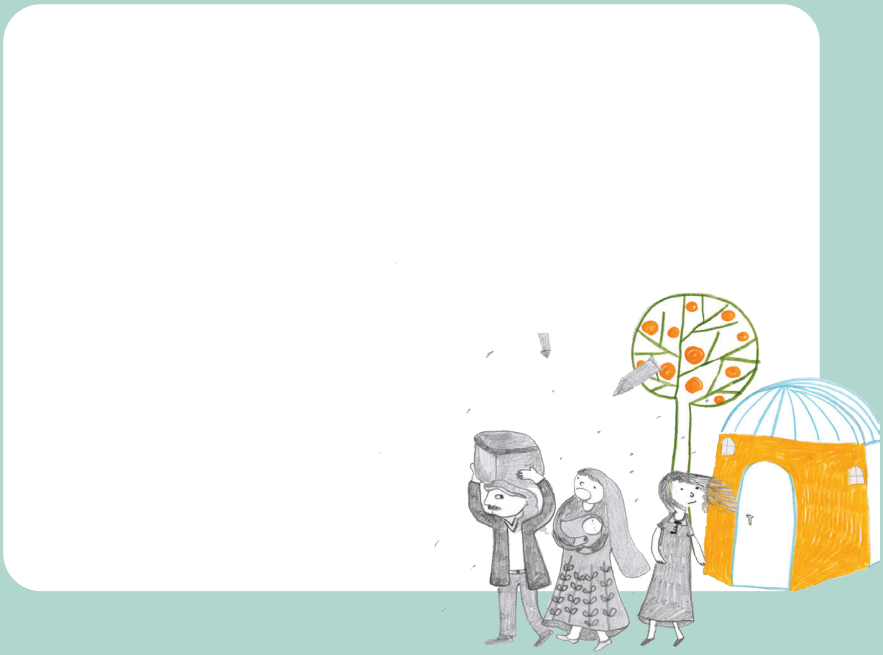

تتنبَّأُ الجريدةُ بعودةِ البلادِ إلى الحربِ مرَّةً أُخرى، وفي الحربِ لا تعودُ الحياةُ كما كانتْ، تتغيَّرُ عاداتُ الناسِ، ومحاولاتُهم للبقاءِ. تبدأُ يافا، وكلُّ مدنِ السَّاحلِ، بالذُّبولِ والاختباءِ، وتتوارى الحياةُ خلفَ الجبالِ.

ويحدثُ ما لم يكنْ في الحسبانِ: يُشرَّدُ الناسُ من بيوتِهم، ويتوهونَ عن أطفالِهم، يركضونَ في كلِّ مكانٍ، يقطعونَ السهلَ والبحرَ، يخبِّئونَ مفاتيحَهم في جيوبِهم، ويقطعونَ طريقَ البرتقالِ نحو النجاة.

تجدُ نجمةُ نفسَها خارجَ البيتِ، تسيرُ مع أعدادٍ هائلةٍ من الناسِ، لا أحدَ منهم يعرفُ إلى أينَ يذهبُ، إنَّهم يسيرونَ نحوَ الحياةِ، أو هكذا يقولونَ في سرِّهم. ونجمةُ تسيرُ مع الجموعِ، لا تحملُ معها سوى صُرَّةٍ من الحجارةِ، تشدُّ عليها وترعاها وكأنَّها آخرُ الناجينَ.

هل تعرفونَ عن هذهِ الفترةِ من حياتِنا كفلسطينيِّينَ؟ أخبرونا.

هل صادفتُم نسخًا من الجرائدِ في المعرضِ؟

شعار الجريدة

السنة والتاريخ

عنوان الخبر

تقسم الجريدة إلى أعمدة

الخبر

الصفحة الأولى من العدد ١٧ من جريدة فلسطين، الصادر في ١٧ حزيران ١٩٣٦، وفيها كاريكاتير عن وعد بلفور، ودوره المركزي في تمكين اليهود في فلسطين، وتعزيز الاقتصاد الصهيوني فيها.

هل تستطيعونَ تصميمَ عامودٍ في جريدةٍ، وكتابةَ بعضِ الأحداثِ فيهِ؟

تعالوا نكتبُ خبرًا عن تحريرِ فلسطينَ في الصفحةِ الأولى!

تتعبُ نجمةُ من المشي والتفكيرِ فيما سيحدثُ، تنظرُ في وجوهِ الجميعِ: إنَّهم مُتعبونَ، حَزَانى، غارقونَ في أفكارِهم، لا يكادونَ يصدِّقونَ أنَّهم تركوا خلفَهم بيوتَهم وحياتَهم وذكرياتِهم أيضًا.

بورتريه الطريق: هل لكم أنْ تتخيَّلوا وجوهَ الناسِ وهم يغادرونَ البلادَ؟ نظراتِهم؟ حنينَهم؟ خوفَهم؟ وتفكيرَهم بكلِّ الأشياءِ التي تركوها خلفَهم؟

تحاولُ نجمةُ أن تستريحَ قليلاً، تمدُّ يدَها إلى حقيبتِها وتُخرِجُ الصَّراراتِ، تعدُّها الواحدةَ تلوَ الأُخرى، إنَّها ٢١ صرارةً، وبينما تُعيدُها إلى الحقيبةِ، تراها تُشعُّ مثلَ ضوءِ شمسٍ في نهارٍ صيفيٍّ. يُدهشُها اللَّمعانُ، وتُحاولُ أن تتذكَّرَ ما قالتْهُ الصخرةُ الأمُّ: كلُّ صرارةٍ تحملُ ذكرياتٍ عن البلادِ، وتحفظُ المكانَ الذي جاءتْ منهُ، إنَّها إشاراتُ العودةِ إلى البيتِ.

هل تستطيعونَ أن تتخيَّلوا بيتًا فلسطينيًّا قديمًا في يافا يعودُ إلى العامِ ١٩٠٠، وبيتًا آخرَ من حاضرِنا اليومَ؟ تُرى، أينَ سيكونُ موقعُهُ من المدينةِ؟ وما هي المزروعاتُ داخلَ حديقتِهِ؟ كيف ستكونُ نوافذُهُ؟ وأيَّةُ ورودٍ ستتدلَّى منها؟

تركيب كولاج لصورة من ميناء يافا وأُخرى من مقهى بحري في يافا. من مجموعة نينو لصور المصوّر الهولندي فرانك شولتن، التي التقطها خلال ترحاله في الشّرق الأوسط بين عامَي ١٩٢٠-١٩٢٣. © مجموعة فرانك شولتن، المعهد الهولندي للشرق الأدنى NINO – لايدن.

تثبُ نجمةُ على قَدَمَيها المُتعبتَين، تحملُ الصَّراراتِ بقوَّةٍ، وعلى طولِ الطريقِ تتركُ ٢١ حجرًا صلبًا للعودةِ.

تقولُ في نفسِها: بعدَ ستَّةِ أيّامٍ سنعودُ، وتدلُّنا هذهِ الحجارةُ إلى البيتِ، بيتِنا في آخرِ التلَّةِ هناكَ، بيتِنا المُطلِّ على الحلم.